

الشيخ حسين العباد . بعنوان : سوء الخلق

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وللعنة الدائمة على أعدائهم أعداء الدين.

يَفْقَهُوا قَوْلِيٍّ. [طه: 25 – .28].

عن الإمام علي (ع) أنه قال: «من ساء خلقه أعزوه الصديق والرفيق». [غور الحكم، الامدي: 667.]

لا زال الكلام حول الأخلاق، وقد تحدثنا في الأسبوع السابع الثلاثة الماضية عن الأخلاق الحسنة، ونختم الكلام في هذه الجمعة عن سوء الأخلاق.

يقول الإمام علي: من ساء خلقه أعزوه الصديق والرفيق. فمن كان أقرب إلى الإنسان، وهو الصديق والرفيق، يكون سيد^م الخلق بحاجة إليه فلا يجده، ولا يمكنه إيجاده والحصول عليه.

فالرفيق والصديق قد يكون أقرب للإنسان من جميع أقاربه، فهو العارف بأسراره والمشارك له في همومه وأماله وأحلامه وألامه. بل قد يكون أقرب في بعض الجوانب حتى من الوالدين والزوجة، إذ يبوح الرفيق لرفيقه، والصديق لصديقه بما لا يبوح به لهم. إلا أن من يسوء خلقه يبتعد عنه الصديق والرفيق، فلا يمكن له الحصول عليهم ولا الاحتفاظ بهم.

فسوء الخلق له انعكاس في ثلاط مراحل: الأولى في الدنيا، والثانية في البرزخ، فلمن ساء خلقه في الدنيا عذاب مخصوص في البرزخ. والثالثة في الآخرة، وفي الآخرة هنالك مكانة ووضع خاص لمن كان سيءً في الخلق في الدنيا.

ولعل البعض - مع الأسف - يتفاخر في الحياة الدنيا ببعض مفردات سوء الخلق، لأن يتعدى على هذا أو

يسبّ هذا أو ينتقم من ذاك، فيتصور أن سوء الخلق يحقق مكانة اجتماعية، وهو في الواقع مرض، ولكن صاحبه لا يلتفت إليه ولا يشعر به.

ومعنى سوء الخلق: تلك العادات والصفات والطبع التي يبغضها الله جل وعلا. فمن أراد أن يخطو خطوة، أو يعمل عملاً، أو يتعامل مع زيد من الناس، فلا بد أن ينظر: هل أن ذلك مما يرتضيه الباري جل وعلا، أم لا؟ فإن كان مما لا يرتضيه الباري فهو في الدائرة الحمراء التي يجب أن لا يدخلها.

إن سوء الخلق هو منشأ فساد حياة الإنسان في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة، أما في الدنيا فمن الطبيعي أن من ساء خلقه يكون وضعه الاجتماعي مزرياً، فالجميع يتبعه عنه ويقطع صلته الاجتماعية به، فيكون منبوذاً غير محظوظ. حتى لدى المجتمع غير المتدرين، فالفطرة الحسنة محبولة على الخير، وتدعوا إلى حسن الخلق.

وأما في البرزخ – وهي الحالة الوسطية التي يعيشها الإنسان بين الدنيا والآخرة – فقد بينت الروايات أن هناك عذاباً خاصاً بمن كان سيئ الخلق في الدنيا، لا سيما مع أهل بيته.

فمن القصص المعروفة ما حصل لسعد بن معاذ، الصحابي المعروف، وهو ما أخبر به الإمام الصادق (ع). فقد ورد عن الإمام الصادق (ع) أن رسول الله (ص) أُخبر بوفاة سعد بن معاذ، فقام هو وأصحابه لتجهيزه والصلاة عليه وتشييعه ودفنه. فلما حُنط و coffin وحمل على سريره وتبعه رسول الله (ص) وأصحابه، كان رسول الله (ص) بلا حذاء ولا رداء، وكان يأخذ يمنة السرير تارة ويسرتها تارة أخرى. فلما بلغ إلى القبر، نزل رسول الله (ص) معه إلى اللحد، وساوى عليه اللبن. فقالت أم سعد: هنيئاً لك يا سعد. فقال (ص): «يا أم سعد، لا تجزمي على ربك، فإن سعداً قد أصابته ضمة». قال: فرجع رسول الله (ص) ورجع الناس، فقالوا له: يا رسول الله، لقد رأيناك صنعت على سعد ما لم تصنعيه على أحد، إنك تبعت جنازته بلا رداء ولا حذاء. فقال (ص): إن الملائكة كانت بلا رداء ولا حذاء، فتأسيت بها. قالوا: وكنت تأخذ يمنة السرير مرة ويسرة السرير مرة. قال: كانت يدي في يد جبريل آخذ حيث يأخذ. قالوا: أَمرت بغسله، وصلبت على جنازته، ولحدته في قبره، ثم قلت: إن سعداً قد أصابته ضمة. قال: فقال: نعم، إنه كان في خُلُقه مع أهله سوءاً». [الأمامي، الشيخ الصدوق: 384].

فسوء الخلق مع العيال من موجبات ضمة القبر، أي ضغطته وعصرته. فقد يكون المرء حسن الخلق خارج البيت مع الناس والمجتمع، لكنه سيئ الخلق مع أهله.

وأما في الآخرة فهناك العقاب الشديد الذي لا ينجو منه.

ثم إننا لو سألنا سبئ الخلق: هل تقبل بأن تُقام بالسوء على الخلق من غيرك؟ وما هي ردة فعلك على ذلك؟ فسوف نجد أنه لا يرضي بذلك بالتأكيد، فلماذا يرضى هذا الخلق لغيره؟ فمن العدل أن لا يرضي لغيره ما لا يرضاه لنفسه.

ومن هنا كان الأئمة (ع) يؤكدون على محاسبة النفس كل يوم وليلة، فقبل أن ينام المرء عليه أن يقف مع نفسه دقائق معدودة ينظر في صحيفته أعماله في ذلك اليوم، ويسأله نفسه: هل ساء خلقه مع أهله؟ أو مع أقاربه؟ أو أهل بيته؟ أو جيرانه؟ وهل قصر في واجب أو ارتكب محرماً؟ فالموت طالب حثيث، واليوم الآخر قريب مهما رأيناه بعيداً. فيمكنه عند المحاسبة أن يتدارك ما فات وما وقع كي لا يعيش منبوداً في الدنيا، ويعيش ضغطة القبر في البرزخ، والعذاب الشديد في الآخرة، فيكون أبعد الناس منزلةً من رسول الله (ص) يوم القيمة. ومن الطبيعي أن من يزرع شوكاً لا يحصد سوى الشوك، ومن عاش في هذه الدنيا بسوء الخلق فلن يعني سوى النتائج السيئة، في الدنيا والبرزخ والآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وعلى أهله بيته الطيبين الطاهرين.